# كلمة موجزة حول الجمال

<"xml encoding="UTF-8?>

الجمال كون الشيء على صفة معجبة ملذّة. واذا كان المتبادر من لفظه في لغة هو الجمال المبصر فحقيقة معناه تعمّ غيره من المحسوسات والمتخيّلات، بل تشمل المعاني ايضاً. فان الذي يدرک الشاعر من لطيف المعاني في الاشعار المشتملة على الاستعارات والكنايات ليس الاّ الجمال؛ وان الذي يعجب الحكيم من تناسق الكون وحسن انتظامه، بل يراه صفة ذاتية للوجود، ليس الاّ الجمال؛ وان الذي يروع العارف عند شهوده لملكوت السماوات والارض ليس الاّ الجمال.

فالجمال صوريّ ومعنويّ، والمدرك للجمال المعنوي هو الوهم في المعاني الجزئية، والعقل في ما فوقها.
ونستنتج من وجدان الجمال في اكثر من مقولة، كونه من سنخ الوجود دون المهية. وهذا كالعلم والوحدة.
والنفس في كل مرتبة تنجذب الى الجمال الموجود في تلك المرتبة من الوجود. وليس بحيث اذا تجرّدت عن المادّة ولوازمها حُرمت من الجمال والالتذاذ به، بل تزداد اعجاباً والتذاذاً بالجمال العقليّ، ونعني به ما يوجد في ما وراء الحسيّات والمعاني الجزئية.
اذا كان المتعارف من الجمال هو الذي يُدرَك من تناسب اجزاء الشيء المركّب فلا تختصّ حقيقته بالمركبات، بل تشمل البسائط أيضاً.
أترى ان انجذاب الطفل الى الوردة الحمراء وشعلة الشمعة يكون لشيء غير جمالهما؟ أليس ذلك الاّ لما يعجبه من اللون الاحمر؟ وهل تحتمل ان جمال الحمرة في نظره انّما هو بلحاظ الاجزاء وتناسبها؟ وان الحمرة عرض بسيط.
بل نقول في جمال المركّبات المتناسبة الاجزاء: إنّ الجمال يكون صفة للهيئة الحاصلة من الاجزاء المتناسبة، ونفس الهيئة امر بسيط.
وقد تتعدّد جهات الجمال من حيث الاجزاء بانفسها ومن حيث الهيئة التركيبية.
ان النفس لا تتمكن من ادراك الجمال الموجود في المرتبة العالية ما دامت منغمرة في المرتبة السافلة. فادراكها للجمال العالي دليل على وصولها الى تلك المرتبة، وهكذا في الجمال الأعلى.
ألا ترى ان النفوس المنهمكة في الشهوات البهيمية قلّما تلتذّون من المعاني اللطيفة؟ وبالعكس من ذلك فان النفوس اللطيفة الشاعرة بالجمال المعنوي لا يهتمّون كثيراً باللذّات البهيمية.
قد عرفنا ان الجمال في الحقيقة صفة للوجود، لكن لا ينافي ذلك اتصاف المهيّات به. وان المهيات هي الاعرف

عند الانسان من الوجود، بل لا يعرف من حقيقة الوجود شيئاً الا بقدر معرفته بنفسه. وهي في الغالب ليس الاّ شعاعٌ ضعيفٌ يكاد ينطفي. ولذلك ما يقع من اشتباه النفس بالبدن لأكثر الناس.

فالذي يعرفه كل انسان من الجمال انما هو معنى يحصّله من مقايسة بعض الاشياء ببعض، فما يعجبه منها يعدّه جميلاً. ونفي الجمال عمّا يتنفّر منه انّما هو بحسب ادراكه وبالنسبة الى نفسه، ولا ينافي ذلك كونه جميلاً عند موجود آخر، كما انه لا ينافي كونه جميلاً بحسب وجوده مع صرف النظر عن مقايسته الى موجود آخر.

الوجود مطلوب لكلّ موجود، ومن ذلك ان كل انسان بل كل موجود شاعر فانه يحبّ نفسه، ويحبّ مقوّمات وجوده ومكمّلاته. ولو حصل له مشاهدة ذاته لرآها تفيض بالجمال، وهذا بحسب وجوده مع صرف النظر عن مقايسته الى وجود آخر، وهكذا الحال في شهود كل وجود.

فاذا افاض الله على عبد بمعرفة شهودية وعلم حضوري بمراتب الوجود العالية لأدهشه جمالها ولقضى عجباً وخرّ صعقاً. فعرف ان الوجود في ذاته جميل، وعرف مغزى قوله تعالى ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ... ﴾ 1.

فالوجود بوصف انه مطلوب لكل موجود وأنّ كل موجود يحبّه ويلتذّ به فهو جميل كما انه خير. وكلّما كان مرتبة الوجود أشدّ كان أجمل، والعالم بمجموعه جميل، وانما القبح والشرّ يأتي من المقايسة والنسبة.

انجذاب النفس الى الجميل انما هو لمصلحة لها فيه وانتفاعها به فغايته استيفاء ما في الجميل من المصلحة والمنفعة. فانظر الى ما في الاشياء الجميلة من المنافع العظيمة للانسان، ولولا جمال منظرها لما انعطف قلبه اليها وما استفاد منها. فجمال المناظر الطبيعية هو الذي يجرّ الانسان الى معالجتها والتفكّر فيها، وجمال الطفل هو الذي يأخذ بقلب الأُمّ ويبعثها الى تربيته. وهكذا لا يخفى الدور الذي يوفيه الجمال في الزواج و سائر شؤون الحياة الاجتماعية.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴾ 2. وقال: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ 3 وقال: ﴿ ... خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ... ﴾ 4. وقال عزّ اسمه: ﴿ ... وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ 5.

ومن المعروف حبّ النبي(صلى الله عليه و آله) للطيب والزينة6، وروي انه كان اذا أبرد بريداً اختار حسن الوجه7.

وقد ثبت ان من مرجّحات امام الجماعة صباحة الوجه. وروي «أُطْلُبُوا الْخَيْراتِ عِنْدَ حِسانِ الوُجُوه»8 كما روي أنه «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآن»9. و روي «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»10.

فللانسان الالتذاذ بالجمال في مختلف مراتبه ومظاهره والانتفاع بمنافعه في شتّى شؤون الحياة مادام لا يعارض مصلحة اقوى، ولا يمنعه من الترقي الى مرتبة أعلى. وقد تكفلّت الشريعة الغرّاء ببيان موارده ورسم حدوده.

والانجذاب الى الجمال قد يعين على التخلّص من المرتبة النازلة الى الراقية، وذلك مثل الانجذاب الى لطائف الصور والمعاني لمن لم يتخلّص بعد من مرتبة البهيميّة، وهكذا في كلّ جمال يكون اعلى شأنا بالنسبة الى الحال الفعليّ للانسان. ومن البديهي ان ذلك يختلف بحسب اختلاف الاشخاص والاحوال، فالانجذاب الى جمال خاص يكون معيناً على الترقي لانسان وهو في نفس الوقت يكون موجباً لتنزّل انسان آخر.

وهناك نحو انجذاب آخر للنفس الى الجميل، يستغرق لبّه ويُنسيه كل شيء سواه، ولا يصلح استيفاء المنافع غايةً لهذا الانجذاب التامّ، بل يبطل عنده ما يترتّب على المراتب النازلة من المصالح المشار اليها. ولذا اعتبره كثير من اهل النظر زيغاً وانحرافاً عن مجرى الفطرة، ومرضاً وجنوناً.

والذي نراه ان في فطرة الانسان مبنى لهذا الحبّ، والزيغ والانحراف ان كان فانما هو في تعيين المتعلَّق لا من حيث اصل التعلّق.

ولتبيين هذا نقول: ان من الشعورات الفطرية في الانسان الشعور بالخضوع تجاه الكمال الذي لا يطمع في الحاقه

بنفسه وقيامه به بعينه. وحينئذ يحبّ هذا الكامل ويتلذّذ باظهار الخضوع له، وغاية مطلوبه منه ان يتّحد به ويندكّ فيه. ومن مظاهره حبّ التقرّب اليه والالتصاق به. و ألذّ الأشياء عند هذا المحبّ ان يرى وجوده فانياً في محبوبه قائماً به، و من مظاهره اتباع ارادته له و التشبّه به في صفاته وشؤونه.

وهذه المرتبة من الحبّ انّما تطلب ممن يمكن قيام ذات الانسان به وتعلّق روحه وشراشر وجوده عليه، وهو ليس الاّ من هو في سلسلة علله المفيضة للوجود عليه. وحيث ان وجود كل شيء وجماله مستفيض من غيره سوى الحق تعالى فان المطلوب اوّلاً وبالذات هو هو11.

---

1. القران الكريم: سورة السجدة (32)، الآية: 7، الصفحة: 415.
2. القران الكريم: سورة الصافات (37)، الآية: 6، الصفحة: 446.
3. القران الكريم: سورة النحل (16)، الآية: 6، الصفحة: 267.
4. القران الكريم: سورة الأعراف (7)، الآية: 31، الصفحة: 154.
5. القران الكريم: سورة المزمل (73)، الآية: 4، الصفحة: 574.
6. راجع: الكافي، ج ٥، ص 321؛ «مَا أُحِبُّ مِنْ دُنْيَاكُمْ إِلَّا النِّسَاءَ وَ الطِّيب»
7. راجع: مجموعةورام، ج 1، ص 29، باب الرسوم في معاشرة الناس؛ «قال النبي(ص) إذا أبردتم إلي بريدا فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم»
8. الاختصاص، ص 233.
9. مستدركالوسائل، ج ٤، ص 273، بَابُ تَحْرِيمِ الْغِنَاءِ فِي الْقُرْآنِ وَ اسْتِحْبَابِ تَحْسِينِ الصَّوْتِ بِهِ بِمَا دُونَ الْغِنَاءِ وَ التَّوَسُّطِ فِي رَفْعِ الصَّوْتِ
10. الكافي، ج ٦، ص 438، بَابُ التَّجَمُّلِ وَ إِظْهَارِ النِّعْمَةِ.
11. نقلا عن الموقع الرسمي لسماحة آية الله محمد تقي مصباح اليزدي.